

سلسلة دبلوماسية مكافحة الأوبئة

فيروس الكوفيد-19: الدبلوماسية والوضع العادي الجديد

أغسطس 2020

محل ثقة وحلفاء داعمين في أوقات الحروب والمجاعات والكوارث الطبيعية وأزمات الهجرة، وقطعاً في حالات تفشي الأوبئة. ولد تزال شبكة العلاقات الدبلوماسية التي سعينا بجهود لإقامتها على مدار السنوات فرصة متاحة لتحسين أحوالنا.

مثلما هو الحال مع أفراد الطواقم الطبية الذين يعرضون حياتهم للخطر لرعاية المصابين وسباق العلماء مع الزمن لإيجاد علاج للفيروس، فإن الدبلوماسيين عليهم أن يبحثوا عن وسائل مبتكرة لتقديم العون والمشورة وجميع أشكال الدعم التي يحتاجها العالم فعلاً.

لقد أصبح الوباء اختباراً حقيقياً للعزيمة البشرية والمدى الذي يمكننا التأقلم به بطريقة مبتكرة مع المشكلات التي تواجهنا. ويبدو الآن أكثر من أي وقت مضى - وخصوصاً في الفترات الأخيرة - أن هناك اتحاداً على هدف مشترك وهو عالم واحد في مواجهة عدو واحد. ومع التأثيرات التي أحدثها الفيروس في أكثر من 200 دولة، فمن الضروري أن يتخلى قادة العالم بالشجاعة والمرونة، وأن يتم تعزيز التعاون في تقديم المساعدات الطبية والإنسانية وكذلك إيجاد لقاح أو علاج للفيروس.

لقد أدخلنا فيروس الكوفيد-19 في حقبة "دبلوماسية الإغاثة الإنسانية". ويقع على عاتقنا البحث عن سبل لنشر الوعي حول هذا الفيروس الغريب ليس أمام المواطنين العاديين في العالم وحسب وإنما أيضاً أمام واضعي السياسات الذين عليهم مسؤولية اتخاذ قرارات مستنيرة لحماية حياة الناس.

وبما أنها إستراتيجية ذات أهمية بالغة للعمل معاً في هذه الفترة العصيبة، فإن الدبلوماسية تتبنى أساليب جديدة. فالحدود المادية قد تكون مغلقة، غير أن العالم طور أدوات تقنية ذات كفاءة تتيح لنا التواصل ومساعدة بعضنا بعض. وبفضل المنصات الرقمية، تنعقد اجتماعات رفيعة المستوى ومنها القمة الوزارية لمجموعة العشرين، واجتماع مجموعة السبع، وغيرها من الاجتماعات التي نظمتها الأمم المتحدة ومجلس الأمن وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة الصحة العالمية على سبيل المثال عبر الوسائل الافتراضية.

في نيجيريا، لا بد أن نواصل مسيرة التعاون مع الشركاء المحليين والدوليين وكذلك مع هيئات الحكومة الفيدرالية. فقد عقدنا - وما نزال - اجتماعات افتراضية وشاركنا في مؤتمرات افتراضية كذلك، لنسعى معاً لإيجاد حلول للتحديات المشتركة.

واستطعنا تنظيم نشاطات افتراضية مع العديد من وكالات الأمم المتحدة والمنظمة الدولية للهجرة، والتي تركز النقاش فيها على إستراتيجيات الاستجابة للوباء وجهود الإغاثة للتصدي لمخاوف السلامة التي تواجهها المجموعات المعرضة للخطر،

سعادة الدكتور فهد عبيد التفاق

سفير دولة الإمارات العربية
المتحدة لدى جمهورية نيجيريا



في هذه النسخة من التأملات الدبلوماسية التي تصدرها أكاديمية الإمارات الدبلوماسية، يستعرض سفير الدولة لدى جمهورية نيجيريا الدور الحيوي "لدبلوماسية المساعدات الإنسانية" خلال أزمة الكوفيد-19، وكيف واصلت دولة الإمارات ونيجيريا التعاون معاً إبان الوباء. ويشير أيضاً إلى أن الفترة المقبلة ستشهد استخداماً متزايداً "للدبلوماسية الرقمية" حتى بعد القضاء على الفيروس.

شعر الجميع بتأثير فيروس الكوفيد-19 في عالمنا، ويكاد لا يوجد جانب في حياتنا اليومية لم يتأثر بهذا الفيروس المدمر، ودخلنا في فترة وجيزة في نظام جديد وغريب. فالأفراد والمنظمات والدول اضطرت إلى التكيف والتأقلم بشدة مع ما اعتقد الكثيرون أنه تغير نوعي. واختفت الأنشطة المعتادة النمطية في بيوتنا وأماكن عملنا، وحل محلها الإغلاق والقلق والغموض، بل والأسوأ من ذلك أن حصيلة الوفيات كانت أخذة في التصاعد في مناطق مختلفة من العالم جراء هذا الفيروس المدمر حقاً.

ولا يخفى على أحد الدور العريق للدبلوماسية في رسم ملامح الشؤون السياسية والتنمية على الصعيد الدولي، بيد أن الجميع يدرك أيضاً أنها عملية معقدة. فالدبلوماسية كما نعرفها ونمارسها لا تقتصر على التفاعلات الرسمية. فواقع الأمر أن الدبلوماسية تزدهر بطبيعة الحال عندما تتضمن المصافحة وتبادل الملاحظات غير الرسمية في فترات الاستراحة لتناول الشاي وإجراء المحادثات الفعالة وجهاً لوجه في الممرات والردهات. وفي بعض الأحيان هذه هي الأوقات التي تتخذ فيها القرارات الحقيقية.

وما يثير الأسف هو أن فيروس الكوفيد-19 أوقف تلك النشاطات فجأة، غير أن مكانة الدبلوماسية - حتى في فترات الوباء - لا تزال لها أهمية بالغة. فالدول قد تغلق حدودها، ولكننا لا نستطيع أن ندير ظهورنا لهؤلاء الذين يعانون أو من هم في أمس الحاجة للمساعدة. المبادئ التي تسير عليها علاقاتنا الدبلوماسية مع الدول الأخرى هي أن نكون أصدقاء

وخصوصاً مخيمات النازحين داخلياً في شمال شرق نيجيريا، مع استمرار وتيرة تفشي فيروس الكوفيد-19 في أنحاء البلاد.

وكان ذلك أساس علاقة الشراكة بيننا وبين منظمة اليونيسف خلال تلك الفترة للتبرع بـ 2,500 صندوق من الأغذية العلاجية للأطفال الذين يعانون من سوء التغذية في شمال شرق نيجيريا لمساعدتهم على التعافي. وكما أقرت منظمة اليونيسف "فإنه في الأزمات الصحية المشابهة لتلك الأزمة، فإن التغذية أكثر أهمية من أي وقت مضى؛ لأنها تساعد في بناء المناعة لمواجهة المرض."

لقد باتت المشاركة في المؤتمرات والاجتماعات الافتراضية جزءاً لا يتجزأ من مهامنا في السفارة. وكنت مؤخراً المتحدث الرئيس في أول حفل ختامي ليوم البيان العملي لقمة نيجيريا برعاية فوربس، وعرضت في كلمتي الجهود المتواصلة التي تبذلها دولة الإمارات لدعم وتشجيع زيادة الأعمال في نيجيريا. وكانت تلك المبادرة برعاية مجلة فوربس ومؤسسة Global Startup Ecosystem، وهي مبادرة الهدف منها مساعدة الشركات الكبرى في نيجيريا في بناء وتوسيع أعمالها، مما يعطي نيجيريا ميزة تنافسية أعلى على الصعيد الدولي.

وفي المقابلات الإعلامية الافتراضية التي أجريتها، أبرزت الجهود الهائلة التي بذلتها دولة الإمارات العربية المتحدة لدعم العديد من الدول المتأثرة بالكوفيد-19 وضرورة بذل المزيد. ورغم أن أداة توصيل الرسالة تغيرت إلا أن مضمون الرسالة ذاته لم يتغير.

ويبلغ عدد حالات الإصابة في نيجيريا في الوقت الحالي أكثر من 40,000 حالة منذ اكتشاف أول حالة في 27 فبراير 2020. ولم يوقف ذلك مسيرة التعاون الدبلوماسي بين دولة الإمارات ونيجيريا؛ لأننا واصلنا البحث عن أو صياغة وسائل متعددة لتعزيز التعاون بيننا بأكثر مما كان عليه في السابق. وفي مثال على التعاون الدبلوماسي المشترك والنجاح بين العديد من المسؤولين من كلا البلدين، نجحنا حتى الآن في إعادة نحو 1,280 مواطناً نيجيرياً من دولة الإمارات على متن عدة رحلات تابعة لشركة طيران الإمارات.

واستطعنا بالتعاون مع مؤسسة خليفة بن زايد آل نهيان الخيرية ومؤسسة زايد للأعمال الإنسانية توزيع وجبات الإفطار الرمضاني على المجتمعات المحرومة في شهر رمضان، وقدمنا أيضاً العديد من وسائل السلامة الخاصة بفيروس الكوفيد-19 إلى ما يزيد عن 5,000 أسرة معرضة للخطر في نيجيريا للحد من انتشار الفيروس. وشملت هذه الأدوات كميات قابلة لإعادة الاستخدام ووسائل تعقيم للأيدي عليها شعار دولة الإمارات. وكلفنا أيضاً إحدى الجهات بتنفيذ 6 مشاريع لحفر الآبار لتوفير المياه النظيفة والقابلة للنقل في خمس ولايات في البلاد ليستفيد منها أكثر من 25,000 شخص، مع الالتزام التام بمختلف تدابير الوقاية والسلامة من فيروس الكوفيد-19.

وأثبتت الخطوات التي اتخذتها دولة الإمارات مصداقية الرأي الذي يقول بأننا في أوقات كهذه نحن أحوج ما نكون إلى العلاقات الدبلوماسية. وأوضحت الدولة بجلء أنها إحدى الدول الرائدة في هذا الشأن. بنهاية يونيو، كانت دولة الإمارات قد قدمت أكثر من 1,000 طن من المستلزمات الطبية إلى 70 دولة على مستوى العالم، واستفاد مباشرة من المساعدات الإماراتية 60 مليون شخص.

وكما عبّر عن ذلك بلاغة سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان، وزير الخارجية والتعاون الدولي لدولة الإمارات، في كلمته أمام المؤتمر الافتراضي الذي نظّمه مجلس شباب وزارة الخارجية والتعاون الدولي: "إننا نعيش محنة إنسانية برزت فيها أهمية العلم والعلماء والباحثين والأطباء والممرضين والعاملين في القطاع الطبي، ولابد أن نحیی جهود هؤلاء جميعاً، فهم يضحون بأنفسهم، بل وأسره من أجل أداء واجبه على الوجه الأمثل."

وتصل المساعدات الإماراتية إلى مليون شخص من العاملين في القطاع الطبي على مستوى العالم، مما يؤكد التزام دولة الإمارات بمد يد العون إلى العالم بغض النظر عن الدين أو العرق أو الإيديولوجية. ويبرهن ذلك ثابته على أن الدبلوماسية الإماراتية تقوم على القيم الضرورية ومنها تمثيل الجميع والتسامح، وقد حظي الدور الذي قامت به دولة الإمارات بتقدير كبير. وبالقطع لا يزال هناك مجال لبذل المزيد، بيد أننا نفخر بوقوفنا بجانب أصدقائنا رغم البحار والمحيطات التي تفصل بيننا. لقد استخدمنا قوة الدبلوماسية للتواصل مع الآخرين، حتى في الأوقات التي من الصعب القيام فيها بذلك، وهذا مؤشر على مدى التطور الذي وصلت إليه ثقافتنا وريادتنا الدبلوماسية.

هذه الخطوات وغيرها تبين أن الدبلوماسية ما تزال أداة في منتهى الأهمية ليس لاستمرار العلاقات الدولية وحسب وإنما كذلك لمواجهة وباء كفيروس الكوفيد-19.

في نيجيريا، شحذنا تفكيرنا لنجد الوسائل التي تتيح استمرار النشاط الدبلوماسي وعدم توقفه بقدر الإمكان. ومع تخفيف القيود المفروضة نتيجة للإغلاق، بدأنا تدريجياً في تنظيم بعض الاجتماعات المباشرة وذلك في الحالات التي تكون فيها الاجتماعات المباشرة هي أفضل الخيارات المتاحة، مع الالتزام بكافة تدابير السلامة ومنها ارتداء مستلزمات الوقاية والالتزام بالتباعد الاجتماعي والتعقيم الشخصي المتواصل وغيرها.

في بعض الأحيان، أهمية أي أزمة تكمن في الدروس المستفادة التي نستخلصها منها. ففي حين أن فيروس الكوفيد-19 جعل الاجتماعات المباشرة مستحيلة تقريباً، فإننا أدركنا أنه من الضروري تبني وحتى الحفاظ على بعض تقنيات وإستراتيجيات التواصل الافتراضية فيما عالم ما بعد الوباء. ولعل الاجتماعات الافتراضية ليست الوسيلة المناسبة للمفاوضات، ولا سيما حول القضايا الحساسة، غير أنها مفيدة للغاية في مناقشة الشؤون الروتينية على نحو يحقق توفيراً في الوقت والتكلفة.

الدرس المستفاد من هذا الوباء هو ضرورة الاستعداد المبكر دائماً لما قد يحدث دون أن ننزلق بالضرورة إلى التشاؤم، ولكن ينبغي أن يكون لدينا نظرة إيجابية تقوم على التأقلم وإيجاد الحلول والتغلب على التحدي. كل شيء يتطور، والدبلوماسية ليست استثناءً من ذلك، ولا بد أن يكون لدينا الأدوات المناسبة والاستعداد الذهني لهذه التغيرات. وعندما نعلن عن تسجيل آخر حالة من فيروس الكورونا، فإننا سنسجل أيضاً أن الدبلوماسية لم تلعب دوراً صغيراً في ذلك النصر.